خلافة الحسن بن علي رضي الله عنهما وزواجه

بعد أن قتل «علي بن أبي طالب» رضي الله عنه على يد «عبد الرحمٰن بن مُلْجَم» المرادي، أشقى الآخرين، عليه لعنة الله إلى يوم الدين، بويع لابنه «الحسن بن علي» رضي الله عنه بالخلافة، وقيل: إن أول من بايعه «قيس بن سعد»، قال له: ابسط يدك أبايعك على كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه ﷺ، وقتال المُحِلِّين، فقال له «الحسن» رضي الله عنه: على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ؛ فإن ذلك يأتي من وراء كل شرط؛ فبايعه وسكت، وبايعه الناس. وذكره «أبو جعفر الطبري» في تاريخه: أن بعد استخلاف أهل العراق للحسن رضي الله عنه، كان لا يرى القتال مع «معاوية» ولكنه كان يريد أن يأخذ لنفسه ما استطاع من «معاوية» ثم يدخل في الجماعة، وعرف «الحسن» رضي الله عنه - أن «قيس بن سعد» لا يوافقه على رأيه، فنزعه وأحلَّ «عبيد الله بن عباس» محلَّه.

وبعد أن بايع الناس «الحسن» رضي الله عنه بالخلافة، خرج بالناس حتى نزل المدائن، وكان نزوله فيها في المقصورة البيضاء، وكان عم «المختار بن أبي عبيد» عاملاً على المدائن، واسمه «سعد بن مسعود»، فقال له المختار، وهو غلام شاب: هل لك في الغِنَى والشرف؟ قال: وما ذاك؟ قال: توثق «الحسن»، وتستأمن به إلى «معاوية»، فقال له «سعد»: عليك لعنةُ الله، أثب على ابن بنت رسول الله ﷺ فأُوثِقه؟ بئس الرجل أنت! فلما رأى «الحسن» رضي الله عنه - تَفَرُّق الأمر عنه، بعث إلى «معاوية» يطلب الصلح، وبعث «معاوية» إليه «عبد الله بن عامر» و«عبد الرحمٰن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس» فقدما على «الحسن» رضي الله عنه بالمدائن، فأعطياه ما أراد، وصالحاه على أن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف في أشياء اشترطها.

ثم قام «الحسن رضي الله عنه في أهل العراق فقال: يا أهل العراق! إنه سَخَّى بنفسي عنكم ثلاث: قتلكم أبي، وطعنكم إياي، وانتهابكم متاعي، وكانوا قد

obeikandi.com

نهبوا سرادقه ونازعوه بساطاً كان تحته.

ودخل الناس في طاعة «معاوية»، ودخل «معاوية» الكوفة، فبايعه الناس. وكان «الحسين» ﷺ، قد ناشد أخاه «الحسن» ﷺ ألَّا يركن إلى «معاوية» وألَّا يصدقه، إلَّا أن «الحسن» قال له: اسكت، فأنا أعلم بالأمر منك[١].

وقال «ابن عبد ربه الأندلسي» في «عقدة الفريد»: وَفَدَ «الحسن بن علي» على «معاوية»، فقال «عمرو» لمعاوية: يا أمير المؤمنين! إن «الحسن» لَفَهٌ، فلو حملتَه على المنبر، فتكلَّم، وسمع الناس كلامه عابوه، وسقط من عيونهم، ففعل، فصعد المنبر، وتكلَّم وأحسن، ثم قال: أيها الناس! لو طلبتم ابناً لنبيكم ما بين لابتيها لم تجدوه غيري وغير أخي، وإن أدري لعلهُ فتنةٌ لكم ومتاع إلى حين، فساء ذلك «عمراً»، وأراد أن يقطع كلامه، فقال له: أبا محمد! أتصف الرطب؟ فقال: أجل، تلحقه الشَّمال، وتخرجه الجَنوب، وتنضجه الشمس، ويصبغه القمر[٢].

وقال ابن عبد ربه: بينما «معاوية بن أبي سفيان» جالس في أصحابه إذ قيل له: «الحَسَنُ» بالباب؛ فقال «معاوية»: إن دخل أفسد علينا ما نحن فيه؛ فقال له «مروان بن الحكم»: ائذن لي، فإني أسأله ما ليس عنده فيه جواب.

قال «معاوية»: لا تفعل، فإنهم قوم قد ألهموا الكلام، وأذِن له. فلما دخل وجلس، قال له «مروان»: أسرع الشيب إلى شاربك يا حسن ويقال: إنَّ ذلك من الخُرْق، فقال «الحسن»: ليس كما بلغك، ولكنا ـ معشر بني هاشم ـ أفواهنا عذبة شفاهُها، فنساؤنا يُقبِلَن علينا بأنفاسهن وقُبَلِهِنَّ، وأنتم معشرَ بني أمية فيكم بَخَر شديد، فنساؤكم يصرفن أفواههن وأنفاسهن عنكم إلى أصداغكم، فإنما يشيب منكم موضع العِذَار من أجل ذلك. قال «مروان»: إن فيكم يا بني هاشم خصلة سَوْء؛ قال: وما هي؟ قال: الغُلْمَة؛ قال: أجل، نزعت الغُلْمَة من نسائنا ووُضِعَتْ في رجالنا، ونزعت الغُلْمَة من رجالكم ووُضِعَتْ في نسائكم، فما قام لأمويَّة إلَّا هاشميٌّ، فغضب «معاوية»، وقال: قد كنت أخبرتكم فأبيتم حتى

(١) تاريخ الطبري (١٥٨/٥ ـ ١٦٣) بتصرف يسير.
(٢) العقد الفريد (١٩/٤).

سمعتم ما أظلم عليكم بيتكم، وأفسد عليكم مجلسكم، فخرج «الحسن»، وهو يقول:

وَمارستُ هذا الدَّهرَ خمسين حِجَّةً — وخمساً أُزجِّي قائلاً بعد قائلِ
فلا أنا في الدنيا بلغتُ جَسيمَها — ولا في الذي أهوى كدحت بطائلِ
وقد شَرَعتْ دوني المنايا أكفَّها — وأيقنتُ أني رهن موتٍ معاجلِ[1]

وكانت للحسن رضي الله عنه مناقب كثيرة، وكفاه من الفخر أن يشهد له ولأخيه «الحسين» رضي الله عنهما جدهما رسول الله ﷺ أنهما سيدا شباب أهل الجنة، وأنهما ريحانتاه من الدنيا، كما وصف النبي ﷺ «الحسن» رضي الله عنه أنه سيد يصلح الله به بين فئتين، فقد روى «المحب الطبري» في ذخائره، عن أبي بكرة، قال: كان رسول الله ﷺ يصلي بنا، وكان «الحسن» يجيء وهو صغير، فكان كلما سجد رسول الله ﷺ وثب على رقبته وظهره، فيرفع النبي ﷺ رأسه رفعاً رفيقاً حتى يضعه فقالوا: يا رسول الله! رأيناك تَصْنَع بهذا الغلام شيئاً ما رأيناك تصنعه بأحد، قال: **«إنه ريحانتي من الدنيا، إن ابني هذا سيد، وعسى أن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين»**، خرجه أبو حاتم، وفي رواية السلفي: **«إن ابني هذا سيد وإن الله يصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين»**[2]. وكان أشبه الناس بجده ﷺ.

وكان «الحسن» رضي الله عنه ذا مناقب فذة، ومآثر فريدة، كان فيها منقطع القرين، فقد ورث الكرم والجود عن جده رسول الله ﷺ، أكرم الناس، وكان يكره الدخول في الفتن، ويبغض إراقة الدماء، وكان الحلم شيمته، والوقار حليته، موفور العقل، حسن الفهم، نافذ البصيرة، صاحب فصاحة وبيان، فقد أخرج «أبو نعيم» في حلية الأولياء عن شعبة بن الحجاج، عن أبي إسحاق همداني، عن الحارث، قال: سأل «علي» ابنه «الحسن» عن أشياء من أمر المروءة، فقال: يا بني ما السداد؟ قال: يا أبت! السداد دفع المنكر بالمعروف، قال: فما الشرف؟ قال: اصطناع العشيرة، وحمل الجريرة، قال: فما المروءة؟ قال: العفاف وإصلاح المال، قال: فما الرأفة؟ قال: النظر في اليسير، ومنع الحقير، قال:

---

(١) العقد الفريد (٤/١٩ ـ ٢٠).
(٢) ذخائر العقبى، ص: ١٢٥، وحلية الأولياء (٢/ ٤٠).

فما اللؤم؟ قال: إحراز المرء نفسه وبذله عرسه، قال: فما السماح؟ قال: البذل في العسر واليسر، قال: فما الشح؟ قال: أن ترى ما في يديك شرفاً، وما أنفقته تلفاً، قال: فما الإخاء؟ قال: المواساة في الشدة والرضاء، قال: فما الجبن؟ قال: الجرأة على الصَّديق، والنكول عن العدو، قال: فما الغنيمة؟ قال: الرغبة في التقوى، والزهادة في الدنيا هي الغنيمة الباردة، قال: فما الحلم؟ قال: كظم الغيظ، وملك النفس، قال: فما الغنى؟ قال: رضا النفس بما قسم الله تعالى لها وإن قَلَّ، وإنما الغنى غنى النفس، قال: فما الفقر؟ قال: شره النفس في كل شيء، قال: فما المنعة؟ قال: شدة اليأس، ومنازعة أعزاء الناس، قال: فما الذل؟ قال: الفزع عند المصدوقة، قال: فما العِيُّ؟ قال: العبث باللحية، وكثرة البزق عند المخاطبة، قال: فما الجرأة؟ قال: موافقة الأقران، قال: فما الكلفة؟ قال: كلامك فيما لا يعنيك، قال: فما المجد؟ قال: أن تعطي في الغرم، وتعفو عن الجرم، قال: فما العقل؟ قال: حفظ القلب كل ما استوعبته، قال: فما الخرق؟ قال: معاداتك إمامك، ورفعك عليه كلامك، قال: فما السناء؟ قال: إتيان الجميل، وترك القبيح، قال: فما الحزم؟ قال: طول الأناة، والرفق بالولاة، قال: فما السفه؟ قال: اتباع الدناة، ومصاحبة الغواة، قال: فما المفضلة؟ قال: ترك المُجِدِّ، وإطاعتك المفسد، قال: فما الحرمان؟ قال: تركك حظك وقد عرض عليك، قال: فما السيد؟ قال: الأحمق في ماله، والمتهاون في عِرْضه، يشتم فلا يجيب، والمتحزِّن في أمر عشيرته هو السيد، فقال «عليٌّ»: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**لا فقر أشد من الجهل، ولا مال أعود من العقل**»(١).

وأخرج «أبو نعيم» في حليته أيضاً: عن شعبة، قال: سمعت يزيد بن خمير يحدث، عن عبد الرحمٰن بن جبير بن نفير، عن أبيه، قال: قلت للحسن: إن الناس يقولون: إنك تريد الخلافة؟ فقال: قد كانت جماجم العرب في يدي يحاربون من حاربت، ويسالمون من سالمت، فتركتها ابتغاء وجه الله، وحقن دماء أمة «محمد» ﷺ.

وعن الشعبي، قال: شهدت «الحسن بن علي» حين صالحه «معاوية»

(١) حلية الأولياء (٢/ ٤٠ ـ ٤١) ومجمع الزوائد (١٠/ ٢٨٣) وكنز العمال (١٦/ ٤٤٢٣٧).

بالنخيلة، فقال «معاوية»: قم فأخبر الناس أنك تركت هذا الأمر، وسلَّمته إليَّ، فقام «الحسن» فحمِدَ الله، وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن أكيس الكيس التقى، وأحمق الحمق الفجور، وإن هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا و«معاوية»، إما أن يكون حق امرىء فهو أحق به مني، وإما أن يكون حقاً هو لي فقد تركته إرادة إصلاح الأمن وحقن دمائها، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين.

وعن أحمد بن محمد بن الحارث بن خلف؛ أبي بكر: ثنا أحمد بن محمد بن سعيد، ثنا محمد بن أحمد بن الحسن، سمعت أبان بن الطفيل، يقول: سمعت «علياً» يقول للحسن: كن في الدنيا ببدنك، وفي الآخرة بقلبك[١].

وذكر «أبو نعيم» أيضاً: أن «الحسن بن علي» قاسم الله ﷻ ماله مرتين حتى تصدق بفرد نعله، رواه عن شهاب بن عامر.

وعن علي بن زيد بن جدعان، قال: خرج «الحسن بن علي» من ماله مرتين، وقاسم اللهَ تعالى ماله ثلاث مرات حتى إنه كان ليعطي نعلاً، ويمسك نعلاً، ويعطي خفاً ويمسك خفاً[٢].

وسأله رجل صدقة، ولم يكن عنده ما يسد به رمقه، فاستحى أن يرده، فقال له: ألا أدلك على شيء يحصل لك منه البر؟ قال: بلى، فما هو؟ قال: اذهب إلى الخليفة فإن ابنته توفيت، وانقطع عليها، وما سمع من أحد تعزية، فعزِّه بقولك له: «الحمد لله الذي سترها بجلوسك على قبرها، ولا هتكها بجلوسها على قبرك».

فذهب الرجل، وفعل ما قال له، فذهب عن الخليفة حزنه وأمر له بجائزة، وقال له: أكلامك هذا؟ قال: لا، بل كلام فلان، قال: صدقتَ، فإنه معدن الكلام الفصيح، وأمر له بجائزة أخرى[٣].

وله في الجود والسخاء قصص لا تكاد تصدق، وليس لأحد أن ينفيها أو

(١) حلية الأولياء (٢/ ٤١).
(٢) حلية الأولياء (٢/ ٤٢).
(٣) الحسن والحسين، لمحمد رضا، ص: ٢٩.

يتعجب منها، وصاحبها ابن ابنة رسول الله ﷺ، وقد كان رضي الله عنه يجيز الرجل الواحد بمائة ألف، فأنعم بتلك الذرية الطيبة الطاهرة!.

وذكر «ابن عبد ربه» في عقده الفريد: وقال «معاوية» يوماً لجلسائه: مَنْ أكرم الناس أباً وأماً، وجداً وجدة، وعماً وعمة، وخالاً وخالة؟

فقالوا: أمير المؤمنين أعلم، فأخذ بيد «الحسن بن عليّ» وقال: هذا، أبوه «علي بن أبي طالب»، وأمه «فاطمة بنت محمد ﷺ»، وجده رسول الله ﷺ، وجدته «خديجة»، وعمته «هالة بنت أبي طالب»[1]، وخاله «القاسم بن محمد»، وخالته «زينب بنت محمد ﷺ»[2].

وجاء في «تاريخ الخلفاء للسيوطي» قوله: «الحسن بن علي بن أبي طالب» رضي الله عنه: «أبو محمد»، سبط رسول الله ﷺ وريحانته.

ثم ذكر «السيوطي» ما أخرجه «ابن سعد» في طبقاته عن «الحسن» و«الحسين» رضي الله عنهما، فقال: أخرج «ابن سعد»، عن عمران بن سليمان، قال: الحسن والحسين اسمان من أسماء أهل الجنة، ما سمعت العرب بهما في الجاهلية.

وعن عبد الله بن الزبير، قال: أشبه أهل النبي ﷺ به، وأحبهم إليه «الحسن بن علي»، رأيته يجيء وهو ساجد، فيركب رقبته ـ أو قال: ظهره ـ فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل، ولقد رأيته وهو راكع، فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر.

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن، قال: كان رسول الله ﷺ يَدْلَعُ لسانه للحسن بن علي، فإذا رأى الصبي حمرة اللسان يَهَشُّ إليه.

وعن عمير بن إسحاق، قال: ما تكلم عندي أحد كان أحب إذا تكلم ألا يسكت من «الحسن بن علي»، وما سمعت منه كلمة فحش قط إلا مرة، فإنه كان بين «الحسن» و«عمرو بن عثمان» خصومة في أرض، فعرض «الحسن» أمراً لم يرضه «عمرو»، فقال «الحسن»: فليس له عندنا إلا ما رغم أنفه، قال: فهذه أشد

(١) ليس في بنات أبي طالب «هالة» ولعلها أم هانىء (الطبقات ٨/ ٢٦٧).
(٢) العقد الفريد (٥/ ٨٧).

كلمة فحش سمعتها منه.

وعن عمير بن إسحاق، قال: كان «مروان» أميراً علينا، فكان يسبُّ «علياً» كل جمعة على المنبر، و«حسن» يسمع فلا يرد شيئاً، ثم أرسل إليه رجلاً، يقول له: بِعَليٍّ وبَعليٍّ وبِعَليٍّ، وبِكَ وبِكَ، وما وجدت مثلك إلا مثل البغلة، يقال لها: من أبوك؟ فتقول: أمي الفرس.

فقال له «الحسن»: ارجع إليه فقل له: إني والله! لا أمحو عنك شيئاً مِمَّا قلت بأن أسبَّك، ولكن موعدي وموعدك الله، فإن كنت صادقاً جزاك الله بصدقك، وإن كنت كاذباً فالله أشد نقمة.

وعن زريق بن سوار قال: كان بين «الحسن» وبين «مروان» كلام، فأقبل عليه «مروان» فجعل يغلظ له ـ و«الحسن» ساكت ـ فامتخط «مروان» بيمينه، فقال له «الحسن»: ويحك! أما علمت أن اليمين للوجه، والشمال للفرج؟ أُفٍّ لك! فسكت «مروان».

وعن أشعث بن سوار، عن رجل، قال: جلس رجل إلى «الحسن» فقال: إنك جلستَ إلينا على حين قيامٍ منا، أفتأذنُ؟

وعن عمران بن عبد الله بن طلحة، قال: رأى «الحسن» كأن بين عينيه مكتوباً قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص، الآية: ١] فاستبشر أهل بيته، فقصّوها على «سعيد بن المسيّب»، فقال: إن صدقت رؤياه فقَلَّ ما بقي من أجله، فما بقي إلَّا أيام حتى مات.

وقال العسكري عن «الحسن»: لم يكن هذا الاسم يعرف في الجاهلية.

وقال المفضل: إن الله حجب اسم «الحسن» و«الحسين» حتى سَمَّى بهما النبي ﷺ ابنيه.

وأخرج البخاري، عن أنس، قال: لم يكن أحد أشبه بالنبي ﷺ من «الحسن بن علي». وأخرج البخاري عن ابن عمر، قال: قال النبي ﷺ: **«هما ريحانتاي من الدنيا»**، يعني «الحسن» و«الحسين».

وأخرج الشيخان، عن البراء، قال: رأيت رسول الله ﷺ و«الحسن» على

عاتقه وهو يقول: «**اللهم! إني أحبه**» وكان شبيهاً بالنبي ﷺ، سماه النبي ﷺ «الحسن»، وعَقَّ عنه يوم سابعه، وحلق شعره، وأمر أن يتصدق بزنة شعره فضة، وهو خامس أهل الكساء.

وأخرج الترمذي والحاكم عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**».

وأخرج الترمذي عن أسامة بن زيد، قال: رأيت النبي ﷺ والحسن والحسين على وركيه، فقال: «**هذان ابناي وابنا ابنتي، اللهم! إني أحبهما فأَحِبَّهما، وأَحِبَّ من يحبهما**».

وأخرج عن أنس، قال: سئل رسول الله ﷺ: أي أهل بيتك أحب إليك؟

قال: «**الحسن والحسين**».

وأخرج الحاكم عن ابن عباس، قال: أقبل النبي ﷺ، وقد حمل «الحسن» على رقبته، فلقيه رجل، فقال: نعم المركب ركبتَ يا غلام! فقال رسول الله ﷺ: «**ونعمَ الراكبُ هو**».

وأخرج الحاكم عن زهير بن الأرقم، قال: قام «الحسن بن علي» يخطب، فقام رجل من أزد شنوءة، فقال: أشهد، لقد رأيت رسول الله ﷺ واضعه في حَبْوَتِهِ، وهو يقول: «**من أحبني فليحبه**»، وليبلِّغ الشاهد الغائب، ولولا كرامة رسول الله ﷺ ما حدثتُ به أحداً.

وأخرج الحاكم، عن عبد الله بن عبيد بن عمير، قال: لقد حَجَّ «الحسن» خمساً وعشرين حجة ماشياً، وإن النجائب ـ خيار الإبل ـ لَتُقَادُ معه.

وقال له بعض أصحابه بعد تنازله لمعاوية: يا عار المؤمنين! فقال: العار خير من النار، وقال له رجل: السلام عليك، يا مُذِلَّ المؤمنين! فقال: لستُ بمذل المؤمنين، ولكني كرهتُ أن أقتلكم على الملك.

وأخرج ابن عساكر، عن المبرد، قال: قيل للحسن بن علي: إن أبا ذر يقول: الفقر أحب إليَّ من الغنى، والسقم أحب إليَّ من الصحة، فقال: رحم الله أبا ذر! أما أنا فأقول: من اتَّكل على حسن اختيار الله لم يَتَمَنَّ أنه في غير الحالة

التي اختارها الله له، وهذا حَدُّ الوقوف على الرضا بما تصرف به القضاء[١].

وكان من أشهر أخباره التي اختلفت فيها الروايات، كثرة زيجاته، وطلاقاته، حتى إن أباه «علي بن أبي طالب» ضاق ذرعاً بتصرفاته تلك، وأهاب بالناس على المنبر أَلَّا يزوجوه، وقد روي أنه ربما طلَّق أربعاً في يوم واحد، وبنى بأربع غيرهن، وقد ذكر بعضهم أنه أَحْصَنَ من النساء ـ أي: تزوج وجعلهن في حصن الزوجية ـ أكثر من مائتي امرأة، وهذا ما حدا ببعض المستشرقين لانتقاده، والله أعلم بصحّة هذه المقولة.

وقد أخرج «أبو نعيم» في حليته: حدثنا سليمان بن أحمد، ثنا الحسين بن إسحاق، ثنا عثمان بن أبي شيبة، ثنا عبد الأعلى هشام بن حسان، عن ابن سيرين، قال: تزوج «الحسن بن علي» امرأة فأرسل إليها مائة جارية مع كل جارية ألف درهم[٢].

وعن سليمان بن أحمد، ثنا إسحاق بن إبراهيم، عن عبد الرزاق، عن سفيان الثوري، عن عبد الرحمٰن بن عبد الله، عن أبيه، عن الحسن بن سعد، عن أبيه، قال: مَتَّعَ «الحسن بن علي» على امرأتيه بعشرين ألفاً، وزِقاق من عسل، فقالت: إحداهما ـ وأراها الحنفية ـ متاع قليل من حبيب مفارق[٣].

وذكر «المصعب الزبيري» في كتابه» نسب قريش أن: «زيد بن الحسن»، «وأمَّ الخير» أمهما: «أم بِشْر بنت أبي مسعود»؛ عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة بن عَمِيرة بن عطيةٍ الأنصاري؛ وأخوهما لأمهما: «عمر بن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي، و«أم سعيد بنت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل».

و«عمرو بن الحسن» و«القاسم» و«أبا بكر»، لا عقب لهما، قتلا بالطَّفّ و«عبد الرحمٰن» لا عقب له، أمه أم ولد.

(١) تاريخ الخلفاء، ص: ١٦٦ ـ ١٦٩.
(٢) حلية الأولياء (٢/ ٤٢).
(٣) حلية الأولياء (٢/ ٤٢.

و«حسين بن الحسن» لأم ولد، انقرض.

و«طلحة بن الحسن» دَرَجَ، أمه «أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله» التيمي، وأختا أمه «فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب»، و«آمنة بنت عبد الله بن محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي بكر الصديق».

و«أمّ عبد الله» و«أمّ سلمة» و«رقية» «بَنَات» «الحسن» لأمهات أولاد شتى[(١)].

وأخرج ابن سعد، عن علي بن الحسين: قال: كان «الحسن مِطْلاقاً للنساء، وكان لا يفارق امرأة إلَّا وهي تحبه، وأحصن تسعين امرأة.

وعن ابن سعد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: قال علي: يا أهل الكوفة! لا تزوجوا «الحسن» فإنه رجل مِطْلاق، فقال رجل من هَمْدان: والله! لنزوجَنَّه، فما رضي أمسك وما كره طلَّق.

وعن ابن سعد، عن عبد الله بن حسن، قال: كان «حسن» رجلاً كثيرَ نكاحِ النساء، وكُنَّ قَلَّما يَحْظَيْن عنده، وكان قَلَّ امرأةٌ تَزَوَّجها، إلا أحبته، وصَبَتْ إليه.

وعن ابن سعد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: كان «الحسن» يتزوج ويطلق، حتى خشيت أن يورثنا عداوة في القبائل[(٢)].

وكان من أشهر أزواجه اللائي دخل بهن، وورد اسمها في كتب السير امرأة يقال له «جعدة بنت الأشعث بن قيس» وجاءت شهرتها بسبب ما قيل عن أنها سَمَّته وكانت السبب الذي أفضى إلى وفاته، وقبل أن يجود ﷺ بأنفاسه سأله أخوه «الحسين بن علي» ﷺ عن اسم قاتله فأبى أن يسمي أحداً، وذهب بالسر معه.

قال «أبو نعيم» في الحلية: حدثنا محمد بن علي، ثنا أبو عروبة الحَرَّاني، ثنا سليمان بن عمر بن خالد، ثنا ابن علية، عن أبي عون، عن عمير بن إسحاق،

---

(١) نسب قريش، ص: ٤٩ ـ ٥٠.
(٢) تاريخ الخلفاء، ص: ١٦٨.

قال: دخلتُ أنا ورجل على «الحسن بن علي» نعوده، فقال: يا فلان! سلني، قال: لا، والله! لا نسألك حتى يعافيك الله، ثم نسألك، قال: ثم دخل، ثم خرج إلينا، فقال: سلني قبل ألَّا تسألني، فقال: بل يعافيك الله، ثم أسألك، قال: لقد لَقِيتُ طائفة من كبدي، وإني سقيت السم مراراً فلم أُسْقَ مثل هَذه المرة، ثم دَخَلْتُ عليه من الغد، وهو يجود بنفسه، و«الحسين» عند رأسه، وقال: يا أخي! مَنْ تتهم؟ قال: لِمَ لتقتله؟ قال: نعم، قال: إن يكن الذي أظن فالله أشد بأساً وأشد تنكيلاً، وإلَّا يكن فما أحب أن يقتل بي بريء، ثم قضى رضوان الله تعالى عليه.

وروى «أبو نعيم» عن سفيان بن عيينة، عن رقبة بن مصقلة، قال: لما حُضِرَ «الحسن بن علي» قال: أخرجُوني إلى الصحراء، لعلي أنظر في ملكوت السماء، فلما أخرج به قال: اللهم! إني احتسبت نفسي عندك، فإنها أعز الأنفس علي، فكان مِمَّا صنع الله عز وجل له أنه احتسب نفسه.

وقال الذين اتهموا زوجة «الحسن»، «جعدة بنت الأشعث» بتسميمه: إنها فعلت ما فعلت بطلب من «معاوية» ووعده لها بمبلغ من المال، وتزويجه لها من ولده «يزيد»، فلما فعلت، وفى لها بالمال، ولم يَفِ بوعد الزواج.

وذكر الواقدي: أن «معاوية» أوعز إلى بعض خدمه فدسَّ له السم، أما «أبو الفرج الأصبهاني» صاحب كتاب «الأغاني» فقد ذكر أن «معاوية» حَرَّض زوجة «الحسن»، «جعدة بنت الأشعث» على ذلك مقابل مال، كما أنه وعدها بأن يزوجها من ابنه «يزيد»، ووفى لها بالمال فقط.

غير أن «السيوطي» وهو الإمام الجليل القادر على التميز بين غَثِّ الروايات وسمينها، ذكر في «تاريخ الخلفاء» ما نصه:

توفي «الحسن» رضي الله عنه بالمدينة مسموماً، سمته زوجته «جعدة بنت الأشعث بن قيس» دَسَّ إليها «يزيد بن معاوية» أن تسمَّه فيتزوجها، ففعلت، فلما مات «الحسن» بعثت إلى «يزيد» تسأله الوفاء بما وعدها، فقال: إنا لم نَرْضَكِ للحسن، أفنرضاك لأنفسنا؟

وكانت وفاته سنة تسع وأربعين، وقيل: في خامس ربيع الأول سنة

خمسين، وقيل: سنة إحدى وخمسين.

وجَهَدَ به أخوه أن يخبره بمن سقاه، فلم يخبره، وقال: الله أشد نقمة إن كان الذي أظن، وإلَّا فلا يقتل بي واللهِ بريء!.

هذا ما ذكره «السيوطي» دون تشكيك أو تحفظ، والله أعلم.

وإذا صَحَّ أن «يزيد» كان قد وعدها بالزواج بعد قتل زوجها «الحسن» رضي الله عنه فلما فعلت حنث بوعده لها، فإنه يكون بذلك قد جازاها على عظيم جرمها، وقبيح خيانتها، ولعلَّه عَلِمَ أن التي تقدم على سَمٍّ بعلها «الحسن بن علي» ابن بنت رسول الله ﷺ، المعروف أنه سيد شباب أهل الجنة، لن تتورع عن قتل أي إنسان سواه، فخشي «يزيد» على نفسه من أن تمكر به تلك الخائنة، ووجد أن خلفه لوعدها يمنحه السلامة، فكانت أهلاً لخسران الدنيا والآخرة، ويا له من خسران مبين! وجاء في «الطيوريات» عن سليم بن عيسى قارىء أهل الكوفة، قال: لما حضرت «الحسن» الوفاة جزع، فقال له «الحسين»، يا أخي، ما هذا الجزع؟ إنك ترد على رسول الله ﷺ، وعلى «عليٍّ» وهما أبواك، وعلى «خديجة» و«فاطمة» وهما أُمَّاك، وعلى «القاسم» و«الطاهر» وهما خالاك، وعلى «حمزة» و«جعفر» وهما عَمَّاك.

فقال له «الحسن»: أيْ أخي! إني داخل في أمر من أمر الله تعالى، لم أدخل في مثله، وأرى خلقاً من خلق الله لم أر مثله قط[(١)].

وكان «الحسن» و«الحسين» و«عبد الله بن جعفر» يتنافسون في الكرم، فخرجوا ذات مرة حَجَّاجاً، فلما كانوا بين الطر يق جاعوا وعطشوا وقد فاتتهم أثقالهم، فنظروا إلى خباء فقصدوه فإذا فيه عجوز، فقالوا: هل من شراب؟ فقالت: نعم، فأناخوا بها، وليس عندها إلَّا شويهة، فقالت: احلبوها واشربوا لبنها، ففعلوا ذلك، فقالوا لها: هل من طعام؟ قالت: هذه الشويهة، ما عندي غيرها، فأنا أقسم عليكم بالله إلَّا ما ذبحها أحدكم، حتى أهيىء لكم الحطب، فاشووها وكلوا، ففعلوا ذلك، وأقاموا عندها حتى أبردوا ـ أي: دخلوا في آخر

---

(١) تاريخ الخلفاء، ص: ١٧٠.

النهار ـ فلما ارتحلوا من عندها، قالوا لها: يا هذه! نحن نفر من قريش، نريد هذا الوجه، فإذا رجعنا سالمين، فألِمِّي بنا، فإنا صانعون بك خيراً، إن شاء الله تعالى، ثم ارتحلوا.

وأقبل زوجها، فأخبرته الخبر، فغضب، وقال: ويحك! تذبحين شاتنا لقوم لا نعرفهم، ثم تقولين: نفر من قريش.

وبعد زمن، أصابت المرأة وزوجها سَنَة ـ جَدْب وقحط ـ فاضطرتهم الحاجة إلى دخول المدينة، فدخلا يلتقطان البَعْرَ، فمرَّت العجوز في بعض سكك المدينة، ومعها مكتلها تلتقط فيه البعر، و«الحسن» رضي الله عنه جالس على باب داره، فنظر إليها فعرفها، فناداها، وقال لها: يا أمة الله! هل تعرفينني؟ فقالت: لا، فقال: أنا أحد ضيوفك يوم كذا، سنة كذا، في المنزل الفلاني، فقالت: بأبي أنت وأمي! لست أعرفك، قال: فإن لم تعرفيني، فأنا أعرفك، فأمر غلامه فاشترى لها من غنم الصدقة ألف شاة وأعطاها ألف دينار، وبعث بها مع غلامه إلى أخيه «الحسين» رضي الله عنه.

فلما دخل بها الغلام على أخيه «الحسين» عرفها، وقال: بكم وصلها أخي «الحسن؟» فأخبره، فأمر لها بمثل ذلك، ثم بعث بها مع الغلام إلى «عبد الله بن جعفر» رضي الله عنهما، فقال: والله! لو بَدَأْتِ بي لأتعبتهما، وأمر لها بألفي شاة وألفي دينار، فرجعت وهي من أغنى الناس.

ولما لامه بعض أصحابه على كثرة إنفاقه، قال: إن الله تعالى عودني عادة أن يفيض عليَّ نعمه، وعودته أن أفيض على الناس، فأخشى إن قطعت العادة أن يمنعني العادة.

وأخرج «السيوطي» عن البيهقي، وابن عساكر، عن طريق ابن المنذر، هشام بن محمد، عن أبيه، قال: أضاق «الحسن بن علي» وكان عطاؤه في كل سنة مائة ألف، فحبسها عنه «معاوية» في إحدى السنين، فأضاق إضاقة شديدة، قال: فدعوتُ بداوة لأكتب إلى «معاوية» لأذكره نفسي، ثم أمسكت، فرأيت رسول الله ﷺ في المنام، فقال: «**كيف أنت يا حسن!؟**» فقلت: بخير يا أبتِ! وشكوتُ إليه تأخر المال عني، فقال: «**أدعوتَ بداوة لتكتب إلى مخلوقٍ مثلك**

تذكره ذلك»؟ فقلت: نعم، يا رسول الله! فكيف أصنع؟ فقال: «**قل: اللهم! اقذف في قلبي رجاءك، واقطع رجائي عمن سواك، حتى لا أرجو أحداً غيرك، اللهم! وما ضَعُفَت عنه قوتي، وقصر عنه عملي، ولم تنته إليه رغبتي، ولم تبلغه مسألتي، ولم يجر على لساني مما أعطيت أحداً من الأولين والآخرين من اليقين، فخُصَّني به يا رب العالمين!**» قال: فوالله! ما ألححتُ به أسبوعاً حتى بعث إليّ «معاوية» بألف ألف وخمسمائة ألف، فقلت: الحمد لله الذي لا ينسى مَنْ ذكره، ولا يُخَيِّب من دعاه، فرأيت النبي ﷺ، فقال: «**يا حسن! كيف أنت؟**» فقلت: بخير يا رسول الله! وحدثته بحديثي، فقال: «**يا بني! هكذا من رجا الخالق، ولم يَرْجُ المخلوق**»[1].

رحم الله الحسن والحسين وأباهما وأمهما وجدهما رحمة واسعة، وجمعني بهم على حوض المصطفى، لأحظى بشربة واحدة هنيئة مرئية وكفى!.

---

(١) تاريخ الخلفاء، ص: ١٧٠.